محمد بن عبد الكريم الخطابي الرجل الذي حطم الجيوش الإسبانية خلال سنتين وواجه دولتين

بقلم: عبد اللطيف جبرو

في يوم السادس من فبراير سنة 1963 أي منذ أربعة عشرة سنة مات محمد بن عبد الكريم الخطابي بالقاهرة حيث كان يقيم معززا مكرما من لدن قائد ثورة 23 يوليو المرحوم جمال عبد الناصر.

وكان تشييع الجنازة بإشراف رئيس الجمهورية العربية المتحدة في مستوى مكانة هذا الرجل العظيم الذي يعتبر من معالم القرن العشرين والذي استطاع اسمه أن يبرز في كثير من انحاء العالم. ان اسم محمد بن عبد الكريم الخطابي في حد ذاته مدرسة استشهد بقيمة دروسها أبطال في القارات الثلاث وفي مقدمتهم هو شي منه وقادة الثورة الكوبية.

ومن المؤسف أن يكون محمد بن عبد الكريم الخطابي مجرد اسم يطلق على شارع دون أن تعرف عنه الاجيال ما تعرفه أمم أخرى عن أبنائها حتى تمجدهم وتحتفل بذكراهم وتقيم الدنيا وتقعدها لكي يعرف الجميع كل ما صنعه أبطالها.

وفي وقت يعيش فيه أيامهم الأخيرة أولائك الذين عاشروا ثورة بن عبد الكريم لازال شبابنا يفتقر الى المعلومات الكافية لأخذ صورة تقريبية عن حياة محمد بن عبد الكريم الخطابي وبطولته كقائد مغربي واجه دولتين وكاد أن يقضي على الوجود الاستعماري لا في المغرب فحسب بل في مجموع الشمال الافريقي وذلك بعد مرور سنوات قليلة على الحرب العالمية الأولى.

ملاحظات انطلاقا من القرويين

في مارس 1882 ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أجدير التي لاتبعد عن مدينة الحسيمة. وتعلم القرآن في الريف قبل أن يلتحق سنة 1900 بفاس ليتلقى دروسه بالقرويين في الفقه الاسلامي والتشريع

وفي سنة 1905 تخرج من القرويين وعاد الى الريف حين عين قاضيا على مليلية. وعاد من فاس وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره لكن تجربته السياسية كانت قد اكتملت من خلال احتكاكه بطلبة القرويين ووقوفه على الفساد الاداري والأوضاع السياسية والاقتصادية التي كان يتردى فيها المجتمع المغربي.

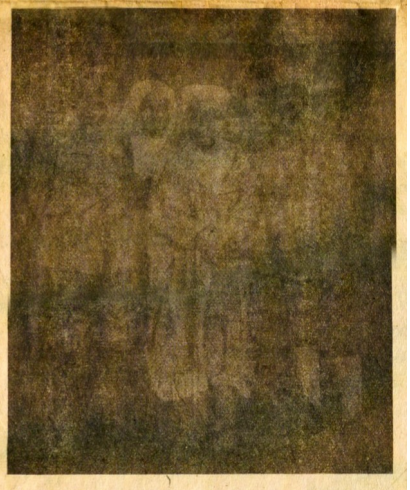

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى أي بعد تسع سنوات على عودته من فاس كان يبلغ اثنى وثلاثين سنة من عمره فاتصل ببعض التقدميين الاسبان الذين استقروا بمليلية حيث اشرفوا على إصدار جريدة تحمل اسم «تلغرام الريف» وعمل محمد بن عبد الكريم مراسلا لهذه الجريدة التي أخذت تنشر له باللغة الاسبانية مقالات عن أحوال المغرب وتحليلات حول علاقات الأقطار التي تسمى اليوم بالعالم الثالث بالدول العظمى- ويقول الاستاذ جيرمان عياش بأن محمد بن عبد الكريم الخطابي برهن عن وعي مبكر من خلال ما نشرته له «تلغرام الريف» وكان مقتنعا بان العالم الثالث لو عرف كيف يستغل التناقضات بين الدول العظمى التي غرقت في الحرب من سنة 1914 الى 1918 لقطع اشواطا كبيرة في التحرر وفرض ثقله في الميزان الدولي.

لقد تركت هذه التجربة في نفس محمد بن عبد الكريم وفي شخصيته أثرا كبيرا نظرا لاحتكاكه بالسلطات الاسبانية اذ أن هذا الاحتكاك جعله يقف على النوايا العدوانية للمستعمر وجعله يدرك كذلك مدى احتقار الحكام العسكريين للشعب المغربي.

اغتيال عبد الكريم الأب

كان أبوه عبد الكريم الخطابي امغار قبيلة بني وريغل أي رئيس القبيلة. قد حرك في هذه الفترة شعور القبيلة في اتجاه العداء للاستعمار. ونظرا لمكانة عبد الكريم ووزنه في المنطقة لم يجرأ الاستعمار على اعتقاله فالتجئوا الى ابنه محمد وسجنوه سنة 1919 في قلعة بمدينة مليلية.

ونحن نعرف ماذا حدث في مصر سنة 1919 من انتفاضة وصل صداها الى المغرب وطبعا لم تكن منطقة الريف معزولة عن الجو العام بالمغرب. بل ان الريف والشمال على العموم كان طيلة الفترة الاستعمارية جسرا متينا يربط المغرب بالمشرق وخاصة فيما يرجع لمرور الكتب والمطبوعات والنشرات.

لقد ساوم الاسبان عبد الكريم الخطابي من أجل اطلاق سراح ابنه ولكن اباءة امغار بني وريغل كانت أقوى من المساومات.

وفي قلعة مليلية ظل الابن صامدا.

وبعد شهور حاول الفرار بواسطة حبل تمزق من الوسط أثناء عملية الهروب فتكسر ساقه واعيد مرة أخرى الى الاسر وهو يعاني من الجروح. واقترح عليه الاسبان اجراء عملية قطع الرجل لكنه رفض نظرا لما كان يتطلع اليه من أعمال ونظرا لحاجته الى كل أعضاء جسمه للقيام بما ينتظره من مهام....وعاش حياته كلها متأثرا بما حدث له من كسر في رجله.

ونظرا لفشل الاسبان في جعل حد لدور عبد الكريم فقد قام أحد الريفيين من الخونة المتعاونين مع الاستعمار بزرع السم في طعام عبد الكريم الذي فارق الحياة من جراء هذا التسميم.

توحيد قبائل الريف

وبعد موت عبد الكريم اضطر الاسبان الى اطلاق سراح محمد الابن الذي عاد الى القبيلة...وكان حقد الاسبان على العائلة بدون حدود وهذا ما جعلهم يعيدون الى المغرب شقيقه احمد الذي كان يتابع دروسه بمدرسة المناجم بمدريد دون أن يستطيع اتمام تعليمه كمهندس.

الاخوان اذن هنا ومحمد أكبر من احمد بـ 17 سنة ومع ذلك فبينهما انسجام كبير.

خلال أكثر من سنتين سيتحرك محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه احمد عبر قبائل الريف من أجل جعل حد للفوضى وجو التناحر الذي عملت السياسة الاسبانية على اثارته بين القبائل

قال محمد بن عبد الكريم للقبائل : «ان ما تبذلونه للتطاحن فيما بينكم لو انكم سخرتموه ضد المستعمر لحققتم المعجزات»

وفي فاتح يونيو 1921 تعرفت السلطات الاسبانية رسميا على وجود حركة ثورية بالريف رغم موت عبد الكريم وأخذ اسم ابن عبد الكريم الخطابي يثير الرعب لدى القيادات العسكرية الاسبانية على الخصوص. وانطلاقا من مليلية اعدت اسبانيا جيشا قوامه 18 الف جندي بقيادة الجنرال سيلفيسترى الذي كان يردد بأنه متجه هو وجنوده الى فسحة في الريف. وأن الأمر سينتهي بشرب الشاي في دار ابن عبد الكريم بعبد الكريم أو بدون عبد الكريمات!

بهذا الكبرياء اتجه الجنرال سلفيسترى على رأس الجيوش الاسبانية الى أنوال...وكانت المعركة : 18 ألف جندي بأسلحتهم الجديدة كلهم إما قتلوا أو اعتقلوا أو فروا من وجه 600 مجاهد من جيش الريف. ولم يتمكن سلفيسترى من شرب الشاي الذي لقي مصرعه في معركة أنوال (20 يوليوز 1921)

بعد معركة أنوال

اذن فتاريخ البشرية أمام ظاهرة جديدة هي حرب الكوماندوس التي تجعل جيوشا جرارة مجهزة بأخر ماوصلت اليه التكنولوجية تعجز عن مواجهة جماعات من الفرق الثائرة وأصبحت المدارس العسكرية في أوربا تضيف الى حصصها مادة جديدة هي هذه المعارك التي ستعرفها منطقة الريف من 1921 الى 1926

لقد استطاع ابن عبد الكريم و600 من المقاتلين أن يلفتوا انظار العالم الى هذا الجزء من شمال غرب افريقيا.

والتف رؤساء القبائل في الريف حول الثورة واعتبروا قائدها رئيسا عليهم ونظمت الهيئة التي ستشرف على تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحربية طبعا...وكان التنظيم حسب أسس عصرية.

وأصبحت السلطة الثورية لقبائل الريف تراقب بعض المناطق في الشواطئ المغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط. لقد تم احتلال المنطقة مابين الشاون والعرائش وبدأت جيوش ابن عبد الكريم تطل على تطوان وتظهر طلائعها في انجرا وأصبحت أجدير مسقط رأس بطلنا عاصمة لسلطته.

وتم تنصيب رجال السلطة الخاضعين للثورة ووضع قادة عسكريون على رأس القبائل وشيدت الطرق وأقيمت شبكات التلفون وارسلت البعثات الى أوربا والشرق وكان عبد الكريم يصدر في هذه الفترة جريدة بالعربية اسمها الحرية.

وأخذ اشعاع الثورة ينتشر وتتحدث عنه بقاع العالم وينظم شعراء المشرق القصائد للاشادة بعظمة محمد بن عبد الكريم الخطابي

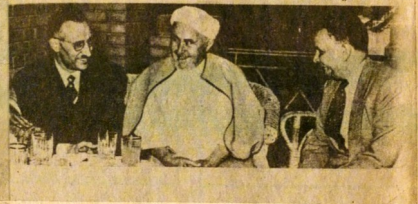

وحاول الاسبان أن يجعلوا من عميلهم الريسوني منافسا له في جلب عطف قبائل الشمال. كان الريسوني يطمع في تولي السلطة تحت اشراف الاسبان في منطقة تمتد من البحر الأبيض المتوسط الى نهر سبو ومن المحيط الأطلسي الى واد كيس.

وحينما تحرك الريسوني وأخذ تحركه يتسع اكتشف العناصر الموالية له مدى نواياه ومدى خضوعه للاسبان، إذاك تركه الكثير من المقاتلين والتحقوا بالثورة الريفية وفي مقدمة هؤلاء خيريرو

ولكي تنتقم الحكومة الاسبانية مما حصل لجنودها في انوال ارسلت الى الريف نجدات عسكرية يقودها الجنرال نفارو...لكن الجنرال وصل الى المنطقة في وقت كانت فيه معنوية المقاتلين جد مرتفعة خاصة لما غنموه من أسلحة من ميدان معارك أنوال.

وفي أول مجابهة بين هذه النجدات ورجال الثورة الريفية في جبل العروي حقق ابن عبد الكريم خلال ست ساعات انتصارا عظيما اذ أبيدت كل الوحدات والقي القبض على الجنرال نفارو.

لقد خسرت اسبانيا المعركة ولم تعد تراقب الا الشاطئ وهي نفس المواقع التي كانت لها قبل عقد الحماية سنة 1912 في حين أن ابن عبد الكريم يراقب كل المناطق «العليا» مع بعض المراكز المطلة على البحر والتي تسهل الاتصال بالخارج من أجل استقبال الاسلحة والسلع وارسال الوفود. وكانت له في طنجة الخاضعة للنظام الدولي شبكات سرية جد فعالة.

صداها الثورة في الداخل

قليلون أولائك الذين تعرضوا من خلال بحوثهم عن ثورة الريف الى صداها في الداخل.

وفي هذا الصدد يحكي الحاج أحمد الشرقاوي وهو أحد مؤسسي الحركة الوطنية بالمغرب بأن الجماهير كانت تتبع اخبار المعارك التي كان يخوضها ابن عبد الكريم ضد الاستعمار باهتمام كبير. وكانت بعض المدن تتوفر على لجان سرية من الاعيان تعد العدة لاستقبال عبد الكريم الريفي انطلاقا من قناعة الشعب المغربي بانتصار الثورة التي ستخلصه من الاستعمار.

وفي مدينة الرباط - يقول الحاج أحمد الشرقاوي - كان على رأس اللجنة الحاج العربي مولين والحاج أحمد الزبدي.

وكانت اللجنة تتوفر على شبكة تتصل بالتجار والحرفيين لجمع التبرعات لفائدة الثورة وظلت اللجنة تشتغل في تنظيم سري محكم وكانت التبرعات تصل الى منطقة الثورة عن طريق مطوف من أصل ريفي يأتي من الديار المقدسة للاتصال بزبنائه الحجاج في المدن وفي الريف.

وكان من شأن الدعم الجماهيري لثورة الريف أن جعل رجالها يدركون مسؤوليتهم على رأس تحرك يتجاوز منطقة العمليات بالريف ليمتد فيما بعد الى مجموع شمال افريقيا لتحريرها من الاستعمار كمرحلة حاسمة من أجل اقامة مجتمع جديد.

فرنسا بعد المفاوضات الأولى

ومرت سنة 1922 في هدوء نسبي مكن السكان من تنظيم فلاحتهم ومكن الادارة الثورية من أن تتمركز في مناطق نفوذها وتنظم المجتمع تنظيما يلائم المراحل الثورية التي سيقبل عليها.

وفي سنة 1923 اعتقد الاسبان أنهم توصلوا بما يكفي من النجدات لسحق الثوار ولكن معركة الساون (يوليوز 1923) جعلتهم يدركون أنهم لازالوا يواجهون خصما قويا، ولقد عملت الثورة الريفية على احداث تغييرات في اسبانيا استغلها بريمودي ريفيرا للقيام بانقلاب مكنه من فرض نفسه كديكتاتور اسبانيا وصرح دي ريفيرا معلقا عن حرب الريف :

بقية ص 6

محمد بن عبد الكريم الخطابي الرجل الذي حطم الجيوش الإسبانية خلال سنتين وواجه دولتين

بقلم: عبد اللطيف جبرو

تابع ص 3

«لن قضية المغرب هذه تكلفنا كثيرا. اننا لم نحتفظ الا بتطوان وأمليلية. أما الريف فلم نعد نطاه بأرجلنا في الوقت الراهن. وسنرى بعد سنتين أو ثلاثة سنين ».

بعدها جرت مفاوضات مابين المندوب السامي الاسباني والقادة الريفيين. وكان عبد الكريم الريفي يطالب بالاستقلال ..

ولقد ترددت مدريد قبل رفض شروط عبد الكريم

وهذا هو الوقت الذي اختارته فرنسا لتدخل في عملية التحالف مع اسبانيا ضد عبد الكريم رغم أن حركة عبد الكريم كانت موضع عطف من لدن الفرنسيين في أول الأمر..ويظهر أن باريز غيرت رأيها لما عرفت البعد القومي لثورة الريف وما يترتب عن ذلك من أخطار تهدد الوجود الاستعماري بشمال افريقيا.

وكان ليوطي يستعد لمغادرة المغرب بعدما انتفت مهمته به. قال المقيم العام جملة شعيرة عميقة المدلول : «اني أحب الريفيين لكن دون أن يكونوا عظماء...»

إذن أصبح عبد الكريم يواجه دولتين عظيمتين ، اسبانيا وفرنسا..ومن أجل توحيد الخطة بين الدولتين سيجتمع في مدريد كل من المارشال فيليب بيتان وبريمودي ريفيرا في صيف 1925 : انه مؤتمر حربي ضد ثورة الريف.

كان البعض يعتقد أن دخول فرنسا الحرب قد يحدد مصير الثورة في أقرب وقت لكن الطاقة الحربية للريفيين والشعبية التي كانت لعبد الكريم كل ذلك كاد يجعل قرار فرنسا ينتهي بكارثة سنة 1924.

أما في الصيف فقد كانت المواقع الفرنسية مابين تازا وفاس مهددة. وكاد بطل الريف أن يصل الى القرويين لربط الحاضر بالماضي.

وفي منطقة ورغة كان الكولونيل نوغيس ـ الذي سيتولى الاقامة العامة فيما بعد ـ في محنة ويوما عن يوم يزداد عدد الجنود الفرنسيين بالمغرب وسيتحول عدد الجنود من 65 إلى 140 ألف.

وصول المارشال بيتان

وفي يوم 17 يونيه 1925 وصل مارشال فرنسا فيليب بيتان الذي عين قائدا على جبهة الريف الى مطار الرباط. كان فيليب بيتان يعد المكانة التي احتلها في الحرب الأولى (لا الحرب الثانية) أكثر ضباط فرنسا إعتبارا ومقدرة وسمعة ووصوله الى المغرب يعطي فكرة عن الأهمية التي اختلتها حرب الريف والفزع الذي استولى على باريز.

وفي 28 يوليوز 1925 وصل فيليب بيتان الى تطوان لتوحيد خطة العمليات مع الاسبان.

اذن فالثورة في الريف تواجه جيشين موحدي الخطة بمعداتهما المصفحة والطيران.

عاصمة الثورة انتقلت من أجدير الى تمسان

صمدت الثورة الى نهاية سنة 1925 وفي بداية 1926 عرف عبد الكريم أن هذه السنة ستكون حاسمة فقرر أن يكثف مساعيه السياسية. الا أن التحالف الاسباني الفرنسي جعل الموقف يتغير. وطبعا لعبت الخيانة دورا خطيرا في التأثير على معنوية المقاتلين، وطبعا تكلفت الطرق والزوايا بهذا الدور التخريبي وهذا ما سيزيد كراهية الحركة الوطنية لرجال الطرق والزوايا.

الاستسلام

في يوم 28 أبريل 1926 كانت مفاوضات وجدة...وفشلت المفاوضات لأن عبد الكريم رفض الذهاب الى المنفى واستئنفت المعارك يوم 8 ماي.

ولكن بعد شهر (25ماي 1926) قبل عبد الكريم «الأمان» الذي تقدم به الكولونيل الفرنسي كوراب...وفي فجر 27 ماي استسلم الى الجنرال ايدو في النقطة الواقعة على الكيلومتر 12 شمال شرق تاركيست.

وفي يوم 28 ماي ركب السيارة التي نقلته الى تازا ومنها الى فاس حيث وضع تحت الاقامة الاجبارية هو وعائلته قبل نقلهما الى جزيرة لاروثيون.

أما خيريرو فلم يستسلم وظل يقاوم أملا أن يبعث الثورة من جديد ولكنه استشهد في معركة بني ايدر في شتنبر 1926.

وهكذا انسحبت الجيوش الفرنسية من الريف لتتجه الى الأطلس لتواجه حركة المقاومة المسلحة التي ستستمر ثماني سنوات أخرى....أي حتى صيف 1934.

ولو حصل تنسيق بين الثوار المغاربة في الريف والأطلس لحصلت المعجزة....

على كل حال نفى عبد الكريم الى لاريونيون ووزع رفاقه من قادة الثورة الى مختلف المدن المغربية في المنطقة الخاضعة للحماية الفرنسية حيث فرض على كل واحد منهم اقامة اجبارية

العبرة التي استخلصتها مجلة لاروس الفرنسية

استخلصت مجلة لاروس في عددها 247 الصادر في شهر شتنبر 1927 العبرة من معارك الريف فكتبت :

الحال بالمغرب. ونظرا لغياب عنصر الوحدة في برامجهما فان اسبانيا وفرنسا عرفا فشلا متسلسلا كاد أن يعرض للخطر مستقبل وجودنا بشمال افريقيا...»

وأضافت لاروس

..«ولقد تأكد بأن الطائرة أكثر فعالية من غيرها من كل المعدات التي استعملت في حرب المغرب، وليست أهمية الطائرة فيما قامت به من ارسال القذائف بل فيما قامت به من استكشافات وبفضل الصور المأخوذة من الطائرة التي وفرتها مصلحة الجغرافيا بالمغرب والتي كانت مدققة بمقياس 1 على 100.000 صارت العمليات سهلة»

وختمت مجلة لاروس

..«لم يسبق لأي روكي أو أي «قائد كبير بالاطلس» أن كان مهيبا كما كان عبد الكريم، اذ كان يتوفر على طاقة ومؤهلات للتنظيم والتناور لن يكون لها ـ لا محالة ـ مثيل لدى أي واحد من خصومنا المحتملين. اذن يمكن التخفيض من جيوشنا الى أقل من 65 ألف رجل بدون أدنى خوف بدلا من 140 ألف رجل الذين كانت تتكون منهم جيوشنا في الفترة مابين 1925ـ 1926. ومن المسلم به أن الهند الصينية وخاصة افريقيا الغربية حيث هناك العديد من أمثال عبد الكريم قد كلفانا أقل »

اللجوء الى القاهرة

في شهر ماي 1947...وفي وقت قطعت فيه الحركة الوطنية اشواطا كبيرة في الالتحام بالمغفور له محمد الخامس وخاصة بعد الزيارة الملكية الى طنجة، والانتصارات التي حققتها الحركة الوطنية من خلال هذه الرحلة أرادت حكومة باريز أن تنقل عبد الكريم من منفاه بجزيرة لاروثيون الى الساحل الأزرق الفرنسي. ولايستبعد الصحفي الفرنسي الخبير بشؤون المغرب جان لاكوتور بأن قرار نقل عبد الكريم الى فرنسا كان متصلا بنوايا بعض الأوساط الفرنسية التي كانت تريد محاولة استغلال مكانة عبد الكريم ورصيده الشعبي وتوجيه ذلك ضد الحركة الوطنية في شخص السلطان

وبينما الباخرة «كاثوميا» تخترق قناة السويس إستقبل عبد الكريم رجال الصحافة المصرية الذين سألوه عما اذا كان يظن أنه من المحتمل أن الفرنسيين ينوون الاحتفاظ به في فرنسا للتلويح به في وجه سلطات مراكش (أي المغرب) الذي أصبح الان خطرا يهدد الحكم الفرنسي فأجاب :

«ان الفرنسيين قادرون على أن يحاولوا ذلك، ولكني أعلن ولائي للسلطان، وانني لن أقوم بأي عمل ضد جلالته أو ضد قضية بلادي».

مكتب تحرير المغرب العربي

ومساء يوم 30 يونيه وصلت الباخرة الى بور سعيد في الحادية عشرة والنصف وصعد اليها رجال السلطة المصرية والزعيم علال الفاسي والحبيب بورقيبة وعبد الخالق الطريس.

وفي ميناء بورسعيد نزل عبد الكريم من الباخرة واتجه الى القاهرة ليس كلاجئ سياسي وانما كقائد يريد الاستمرار في دوره البارز في حركة التحرير الشعبية ، اذن لن يذهب عبد الكريم الى القصر الذي اعد له بالساحل الأزرق الفرنسي.

وظل عبد الكريم وشقيقه وكل أفراد العائلة هنا في العاصمة المصرية من سنة 1947 الى أن وفاه الأجل في يوم 6 فبراير 1963.

وبعد مرور خمس سنوات على وصول عبد الكريم الى القاهرة. قامت ثورة 23 يوليو فتعرف أسد الريف على قائدها الشاب جمال عبد الناصر وربط معه علاقات وثيقة.

وكانت لعبد الكريم بعض الخلافات مع قادة الاحزاب السياسية بالمغرب العربي الذي كان يجمعهم بالعاصمة المصرية مكتب تحرير المغرب العربي.

وحينما جاءت فترة المقاومة المسلحة اتصل قادتها بعبد الكريم لما أرادوا تكوين جيش التحرير. ويحكي أحد قادة المقاومة عن العلاقة بالخطابي في هذه الفترة فيقول كنا نخطأ كثيرا لما كنا نعتقد بأن بعض نظريات عبد الكريم ليست على صواب.

ولما ذهب السيد محمد اليزيدي الأمين العام المساعد لحزب الاستقلال في شتنبر 1955 الى القاهرة ليحيط الزعيم علال بما دار في ايكس ليبان اجتمع بزعيم الحزب وبقائد الثورة الريفية...ولقد ظل عبد الكريم متشبثا بموقفه القاضي برفض كل حل يعزل حركات التحرير في شمال افريقيا بعضها عن بعض

وظل عبد الكريم يرفض العدوة الى المغرب رغم المساعي المختلفة التي بذلت لديه من أجل ذلك مادام آخر جندي أجنبي لم يغادر أرض المغرب العربي.

عبد الكريم وآفاق المستقبل

وبدأ القادة الجدد يتصلون بعبد الكريم.

ففي أبريل 1958 سافر عبد الرحيم بوعبيد الى القاهرة لحضور مؤتمر اقتصادي عربي فعاد يحكي الى المهدي بن بركة انطباعاته عن عبد الكريم الريفي وهي انطباعات تختلف تماما عن الصورة التي كانت للمهدي من خلال ماحكاه له قادة الحزب الاخرون..

وفي أكتوبر 1959 كان أول لقاء بين المهدي وأسد الريف.

ومنذ ذلك اليوم وعلاقات النضال تربط الرجلين وكان هناك تجاوب كبير بين المناضل الاتحادي وعبد الكريم فيما يخص كثيرا من التحليلات بشأن مستقبل المغرب العربي، وابتداء من اللقاء الأول أصبحت شخصية عبد الكريم تؤثر تأثيرا عميقا على تفكير المهدي.

وفي دجنبر 1962 كان آخر موقف للبطل الخطابي هو ذلك البيان الذي بعثه الى جريدة التحرير في شكل رسالة تعارض الاستفتاء من أجل الدستور وهو نفس الموقف الذي اتخذه الاتحاد.

ومات محمد بن محمد بن عبد الكريم الخطابي في السادس من فبراير 1963 وبذلك اختفى إسم من الأسماء التي احتلت الصدارة في القرن العشرين.

قال عنه جان لاكتور بأنه شخصية خارجة عن نطاق الترتيب وستظل مكانته عبد الكريم تتعاظم في الكتب وحماس الشعوب.

وقال لوي اراغون بأن الزعيم الريفي بعث في شبابنا أصدق المثل.

أما الجنرال الفرنسي پيوفر الذي شارك في عمليات عسكرية ضد بطل أنوال بأن عبد الكريم باعث الكفاح ضد الاستعمار قد سبق عالمه بقرن.

ان ذكرى وفاة محمد بن عبد الكريم الخطابي هي ذكرى الرجل الذي حمل السلاح من أجل اعطاء بعد عالمي للقومية..

لقد دشن عبد الكريم مدرسة بالنسبة لاجيال المناضلين وهي مدرسة الالتزام والصمود من أجل أداء الرسالة.